مدخل

اختلطت البحوث وتقييماتها، واختلفت فيما بينها في أمور واتفقت في أمور أخرى ذلك لأن دراسة حياة بني إسرائيل وعقائدهم لم تكن تعتمد على سبر أعماق التوراة وكذلك فهم نصوص القرآن فهماً دقيقاً.

وبسبب التحريف الذي قصده بنو إسرائيل، أصبحت الدراسات تحتاج إلى كشف الغموض الذي أحاط بأحداث حياتهم، والذي أشكل على الكثيرين ممن تناولوها مما أدى إلى أحكام خاطئة وتقييمات ليست صحيحة.

ومما زاد في الإشكالات؛ وجود أكثر من كتاب يطلقون عليه اسم التوراة، فهناك التوراة العبرانية، والتوراة السامرية، والتوراة السبعينية اليونانية، وكل توراة تختلف عن الأخرى من حيث عدد أسفارها وأسلوب كتابتها ومنهجها الديني والعقيدي، وجميعها ترى أنها الصحيحة وما عداها غير صحيح ولا يؤخذ به.

التوراة العبرانية تتألف من تسعة وثلاثين سفراً وأصحابها يعتبرونها الكتاب المقدس على الرغم من أنها نفسها تقول: إن الأسفار الخمسة الأولى هي وحدها التي نزلت على موسى ﷺ، أما الأربعة والثلاثون سفراً الباقية فقد أوحي بها لأنبياء وشخصيات ورجال أتوا بعد موسى.

والتوراة السامرية ترى أن الأسفار الخمسة: التكوين والخروج والعدد واللاويين والتثنية هي التي أنزلت على موسى ولذلك فإنها هي التوراة وما عداها هو تأليف وليس وحياً، ولذلك يرفضون الأسفار الأربعة والثلاثين الباقية من التوراة.

وتزيد الكنيسة الكاثوليكية أسفاراً أخرى على التسعة والثلاثين سفراً حتى يصل عددها إلى أكثر من أربعين سفراً.

ويضاف إلى ذلك التوارة التي اعتمدتها طائفة الأسينيين التي اتخذت من مغاور قمران مقرات دينية لها. وقد أخفيت مخطوطات قمران التوراتية من قبل اليهود الحديثين لأنها كما

يُقال تخالف عقيدياً وتاريخياً التوراة العبرانية المعتمدة لدى غالبية اليهود المعاصرين.

السامريون يرفضون توراة العبرانيين، والعبرانيون يرفضون حصر التوراة بأسفار موسى الخمسة، والكاثوليكية الغربية تزيد على الاثنتين وترفض الاقتصار عليهما وهذا ما جعلنا نتوقف طويلاً أمام هذه المسألة ونطرح الأسئلة الموجبة لذلك.

ما هي التوراة العبرانية وما هي التوراة السبعينية، وما هي التوراة السامرية؟ هل التوراة العبرانية وحي من الله أم أن القسم الأكبر منها هو تأليف ليس له علاقة بالتنزيل؟

لماذا يصر السامريون على أن ما أنزل على موسى عليه السلام هي فقط أسفار خمسة وليس للأسفار الأخرى أيّ قدسية دينية لديهم؟.

ثم لماذا تصر الكنيسة الكاثوليكية الغربية على جعل التوراة أكثر من أربعين سفراً على الرغم من أن اليهود يطلقون على الأسفار الزائدة على التسعة والثلاثين سفراً اسم الأسفار المحظورة (الإبوكريفا) أو الممنوعة؟

إن هذه الأسئلة تقودنا إلى البحث عن جواب، وليس من السهل على أي باحث الإجابة عنها دون أن يرى جميع أشكال التوراة وأسفارها ومضامينها العقيدية والتاريخية وحتى يبدأ من جديد لابد من العودة إلى نصوص القرآن الكريم يقرأ ويفهم مقاصدها وكلماتها، خاصة أن جميع الإشكالات التي تعترض طريقنا تجد حلاً شافياً لها في كتاب الله الذي أنزل على محمد خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ﷺ.

إن البحث في ما سبق يستدرجنا إلى طرح المسائل التالية:

أولاً: إن التوراة العبرانية تقول في نهاية الأسفار الخمسة: إن موسى مات ولم يعرف بنو إسرائيل نبياً مثله. فإذا كان موسى عليه السلام قد تلقى من ربه الرسالة المحصورة بالأسفار الخمسة ومات، فعلى من نزلت بقية الأسفار وعددها أربعة وثلاثون سفراً؟ هل هي من وحي الله والوحي بالرسالة لا ينزل إلا على الأنبياء؟ ومن هم الأنبياء الذي أوحي لهم بعد موسى وأكملوا الأسفار الخمسة بأسفار نبوية جديدة؟ فإذا قيل إن داود وسليمان عليهما السلام نبيان مرسلان وقد أوحي لهما وما جاء في التوراة من ذكر لهما ولتشريعهما هو من التوراة نقول: إن أسفاراً كتبت في هذه التوراة ليس لها علاقة دينية أو تاريخية بسليمان وأبيه داود ومنها سفر يشوع والقضاة وصموئيل الأول، والفرق زمنياً

بين موسى عليه السلام وداود وسليمان عليهما السلام كبير قد يصل إلى ثلاثمائة سنة.

ثانياً: في آيات القرآن الكريم ذكر لكلمة التوراة في تسعة عشر موضعاً لم تقرن مرة واحدة بموسى عليه السلام بينما اقترن اسم موسى بكلمة الكتاب. فما الذي يعني ورود الكتاب مقترناً بموسى وعدم اقتران موسى بالتوراة؟ ألا يعني أن ما أنزل على موسى ليس التوراة المؤلفة من تسعة وثلاثين سفراً إنما هو كتاب أقرب إلى الأسفار الخمسة فقط كما يقول السامريون؟

ثالثاً: إن المدقق فيما ورد في أسفار موسى الخمسة من تشريعات يجد أنها تختلف جذرياً مع الأسفار المتبقية في التوراة، وتلك التشريعات تقترب في أغلبها مما ورد في القرآن الكريم حين يتحدث عن موسى وتعاليمه التي أوحى بها الله له ليعلمها لبني إسرائيل.

رابعاً: ورد في التوراة وكذلك في القرآن الكريم أن موسى عليه السلام تلقى وحي الكتاب الذي أنزل عليه مدوناً على ألواح، فإذا قلنا: إن التوراة كما هي عند العبرانيين كتبت في الألواح فإن ذلك غير موافق للمنطق والعقل، لأن التسعة والثلاثين سفراً تحتاج لعشرات الألواح أو لمئات الألواح حتى تدون التوراة. والواقع يقول لنا: إن ما دوّن في الألواح هو كتاب موسى وليس التوراة العبرانية، والقرآن الكريم يشير بوضوح لمحتوى هذا التشريع الذي أوحى به إلى موسى، وأسفار التوراة الباقية ليس فيها تشريع لأنها كتب تاريخية.

خامساً: لقد وردت كلمة الكتاب في القرآن الكريم عشرات المرات، لكن الكتاب الذي يرتبط بموسى وبني إسرائيل يأخذ من المعاني ما هو جدير بالبحث والمناقشة لأنه ارتبط بعدة مسائل، منها ما هو متعلق بكتاب موسى، ومنها ما هو متعلق بعيسى عليه السلام، ومنها ما هو مرتبط بكتاب غيبي خاص لله سبحانه وتعالى، ومنها أيضاً ما له علاقة ببعض الأنبياء كداود وسليمان وزكريا ويحيى.

سادساً: لقد وردت آيات كريمة تشير إلى التوراة والإنجيل وما أنزل على بني إسرائيل فلابد أن هناك توراة وإنجيلاً غير الذي أنزل على بني إسرائيل، فما أنزل عليهم يضاف إلى التوراة والإنجيل وهو ليس منهما.

سابعاً: ورد في القرآن الكريم ذكرٌ لصحف إبراهيم وموسى. فما هي هذه الصحف المرتبطة بموسى عليه السلام. هل هي الكتاب الذي أنزل عليه أم أنها صحف مستقلة لها طابع خاص وميزات مختلفة؟

ثامناً: إن الكتاب الذي أنزل على موسى عليه السلام طاله التحريف كما طال جميع أسفار التوراة، وهناك آيات قرآنية تشير إلى أن التحريف بدأ منذ زمن موسى عليه السلام وهذا التحريف برز واضحاً بعد أن دوّنت أسفار التوراة ودوّن كتاب موسى في السبي البابلي، وبعد أن كتبت التوراة السامرية على يد الحاخامات والربانيين السامريين. فإذا كان المسلمون مدعوين للإيمان بالكتب التي أنزلت على الأنبياء جميعاً فإن هذا الإيمان يتوجه إلى كتاب موسى أولاً وإلى ما أنزل على الأنبياء ثانياً، وما يدرينا أين وقع التحريف في كتاب موسى والتوراة. وهذا ما يقودنا إلى التفتيش عن تعاليم كتاب موسى المبثوثة في القرآن الكريم بشكل متفرق.

تاسعاً: إننا حين نجد توافقاً كبيراً بين ما ورد في القرآن الكريم من ذكر لموسى وبني إسرائيل وبين ما ورد في التوراة السامرية يدفعنا ذلك إلى القول: إن أي توراة توافق ما جاء في القرآن الكريم هي التوراة الأقرب إلى الإسلام والأقرب إلى ما بثه القرآن الكريم في آياته عن بني إسرائيل وتشريعات العقيدة التي اعتنقوها، وهي بالمحصلة تجعل من كتاب موسى الذي أنزل عليه محور حديثها وتشريعها وأخبارها.

عاشراً: إن الكاثوليكية التي تزيد على أسفار التوراة العبرانية أسفاراً أخرى لا تستند إلى أساس تاريخي أو عقيدي فما تقوله في ذلك لا يدخل قطعاً في باب البحث العلمي الجاد المخصص لمقارنة الأديان وتاريخ العقائد. ولاسيما أن السامريين اليهود يرفضون هذه الزيادة وكذلك اليهود التلموديون فإنهم يرفضونه أيضاً. وليس من حق الكاثوليكية أن تُدخل أسفاراً أخرى على ما هو موجود في توراة اليهود التلموديين وكتاب موسى وتوراة السامريين.

حادي عشر: إن الجمع بين التوراة والإنجيل تحت عنوان الكتاب المقدس هو جمع باطل مرفوض، فإذا كان القصد الجمع بين تشريعات النصرانية كما جاء بها المسيح عليه السلام وبين تشريعات موسى عليه السلام فعلى النصرانية أن تقصر جمعها بين كتاب موسى أو أسفاره الخمسة وبين الإنجيل لأن الأسفار الأربعة والثلاثين ليست من كتاب موسى وفيها من التحريف أكثر مما فيها من الصدق والحقيقة، أما إذا كان جمع التوراة والإنجيل بسبب اعتقاد الكاثوليكية والبروتستانتية أن التوراة كتاب موسى فهذا يدعو إلى البحث عن الأسباب التي دفعت البروتستانت بعد مارتن لوثر إلى دمج الكتابين معاً دون أدنى تمحيص أو تدقيق في الجانب الخرافي التوراتي وكذلك الجوانب التاريخية المتناقضة والمخلة تماماً بالمنطق التاريخي والعقل الإنساني والجانب العقيدي، وكذلك الجانب الأخلاقي.